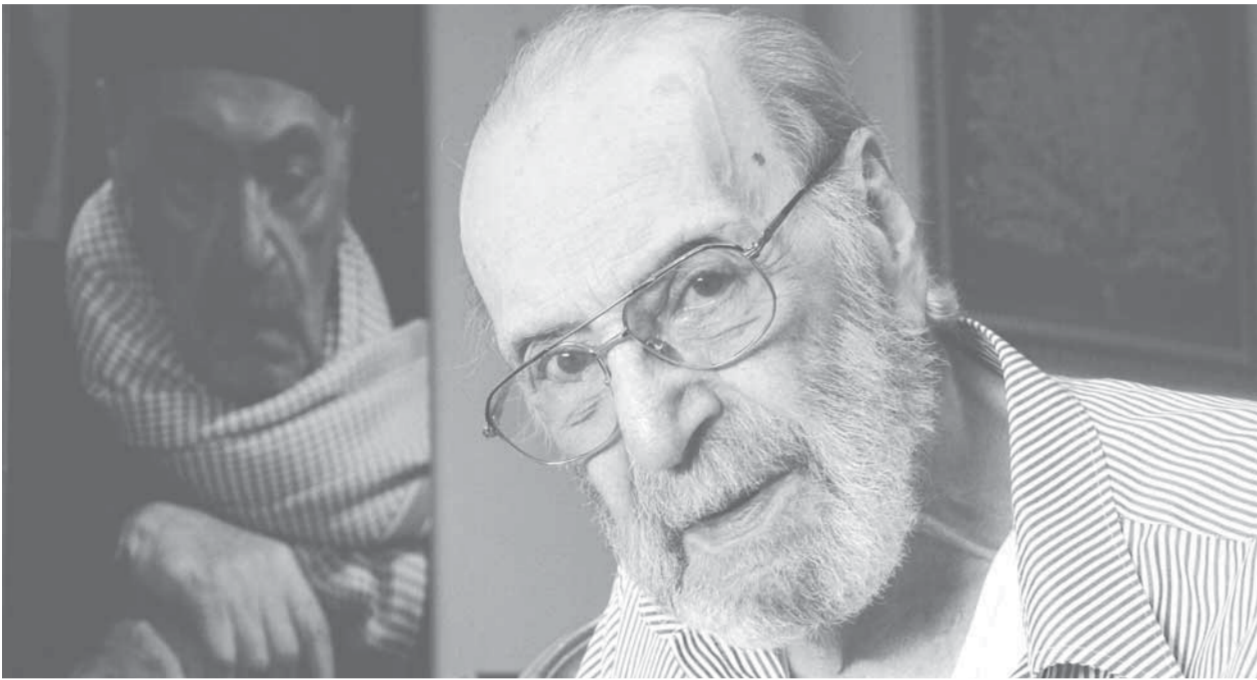


## شرم برم كعب الفنجان.. يا حبيبم ملا شبان.. مدري شباب مدري نسوان

«أحابي ونور عيوني».. رفيق السبيعي يودعكم

# «أبو صياح» شخصية صاحبة النخوة والمهابة والشهامة والقوة والفروسية

وائل العدس



بشويه شخصية البيبة أو الشخصية الشامية، وأنا في الوقت الذي مثلت فيه الشخصية الشامية جعلتها تحمل المثل، ولكن هم استعملوا الشخصية بقصد السخرية والاستهزاء بدافع إضحاك الناس بأمر من المعيب الاستهانة بها، وأنا أحزن كثيراً عندما أرى أن الشخصية الشامية أصبحت مشوهة وليست كما أردت أنا أن تكون أو المفروض أن تكون..»

وعلق على دخول ابنه سيف مجال الفن قائلاً: «ابني سيف بالذات... كان دخل جامعة دمشق في قسم التجارة والاقتصاد، وكان درس سنتين إلا أنه جاء إلي وقال لي «أبي أريد أن أكون فناناً، ثم ماذا سأفعل بشهادتي لا أريد أن أعلقها على الحائط، أنا أريد أن أفعل شيئاً تتذكرني الناس من خلاله»، وبالفعل أخلص سيف في عمله كما لاحظت أثناء مسيرته، والحمد لله استطاع أن يوجد لنفسه مكاناً على الساحة الفنية، مضافاً: «حب سيف لفنه هو الشيء الوحيد الذي دفعه للعطاء والإخلاص من دون أن يعتمد على اسمي، وبالنسبة له هو يريد أن يبني شخصية خاصة به بعيدة عن الشخصية التي كونتها أنا والده في مشوار الفنى، والحمد لله استطاع أن يبني لنفسه ذلك وخاصة كخريج لتفزيوني».

وباعتباره من الفنانين المؤسسين ماذا يقول للناضحين: «أقول لهم أن يبتهدوا ويقوموا بالاهتمام بالفن بجد كبير، لأن الفن ليس وسيلة لكسب المال أو هو أمر يستهان به، فالفن أمر معقد رغم جماليته، وبالنهاية سيشوه سمعة الفنان نفسه إذا كانت خياراته خاطئة، فمثلاً شخصية أبو صياح اشتهرت لأن عطاءها متميز وغير محدود والتميز الذي مكنتها من النجاح، في حين ما يقدم اليوم فيه استسهال للأمر وفيه تشويه للأصالة وبالتالي سيؤدي إلى تشويه فكر الناس بطريقة سيئة».

وفي حديثه عن الشام ورغم الأزمة أكد أن «الشام تبقى الشام، ودمشق أو بالأحرى بلاد الشام، لها تاريخ عريق وهذا التاريخ لا يمكن لأحد أن يغيره أو أن يمحوه، لذلك تبقى الشام عريقة باعتبارها من أول البلدان التي فيها نشأت الحضارات والأجيال، لذلك مهما حاولوا أن يشوهوا صورتها فهي لن تنتشوه وعراقتها لا تسمح لها بذلك».

وفي اللقاء نفسه تحدث عن تأثره ببيئته: «تأثرت بالبيبة الشامية وواضح من خلال شخصية أبو صياح، فعندما أمثل هذه الشخصية لا أشعر أنني أمثل، فهي من نفسي ومن بيئتي التي تربيت فيها، وكل الذين كانوا حولي هم يمثلون شخصية أبو صياح، ومنطقة الزوربية هي منطقة تجارية وعريقة، وإنها من عمق الشام وطبعاً قصر العظم بقرتها وأيضاً منطقة الشاغور، يعني هي قريبة من كل الأماكن التي تظهر عراققة الشام وأنا كنت أسكن فيها وهذا بطبيعة الحال دفعني للتأثر بهذه الشخصية».

ولم ينس الراحل الحديث عن خشية المسرح، فقال: «المسرح هو بيت الممثل، والإنسان بلا بيت لا يمكنه العيش، وعندما يوجد المسرح، فهذا دلالة قوية على أن الفنان بأمان وسكون بخير، وبالنسبة لنا نحن استمرنا بتقديم عروض مسرحية حتى تأسست وزارة الثقافة، وأصبح هناك مسرح قومي، وأصبح المسرح موظفاً في الدولة، وهذا أمر إيجابي لأنه يدل على أن الدولة تعترف بالمسرح، وبالتالي الدولة تعترف بالفن، وقبل تأسيس وزارة الثقافة كنا قلقين، ولكن بعدما قامت مديرية الفنون بضم كل أنواع الفن والمسرح ما جعلنا نشعر بالانتماء وبأن الدولة مسؤولة تجاه فنانينا».

«وشيش بييش»، و«فعود تحبك»، و«الحب تلت لوان»، و«الخفافس»، وغيرها.

ولم يتخل سبيعي طوال الوقت عن فن المونولوج الذي واكب من خلاله تطورات حياة الناس، ودخول الأزياء والموضات إلى يوميات الشبان والشابات، وكانت الكلمات الساخرة هي المفتاح كما في أغنية «شرم برم كعب الفنجان» التي تناول فيها الشباب. تقول كلمات الأغنية: «شرم برم كعب الفنجان/ يا حبيبم ملا شبان/ مدري شباب مدري نسوان/ شرم برم كعب الفنجان/ ليكوه لك ليكوه/ يا سعدة ليكوه/ سعفص لايس باروكه/ بيحكى فرنسي وتروكة/ شرف سيدي/ جننل لبيدي/ شورت/ ميني/ ماكسي وميدي/ وشرم برم كعب الفنجان/ عالطاطا والبولطة/ وعلاشاي وعالكوززه/ وهالأغاني المحظوظة/ بأي طريقه ملفوظة/ وليي عازمزيلات/ لك لبسوا آخر موديلات/ محاهن بالمكسيات/ عاربات ومكسيات/ بكرا مطرح ما يتفوت/ بتلاني الرزق ببلان/ ويمكن يغلنى ورق التوت/ ونسكّر مصانع القماش/ وشرم برم كعب الفنجان».

ومن الأغنيات التي أداها بشكل خاص للسنيما أغنية «ليش هيك صار معنا، في فيلم «شروال وميني جوب»، وأغنية «الأوتو ستوب» في فيلم «نساء للشقاء».

### مع «الوطن»

منذ تأسيس صحيفة «الوطن» كان الراحل الكبير ضيفاً دائماً على صفحاتها، كان آخرها لقاء مطولاً أجراه مع الزميله سوسن صيداوي قبل نحو أربعة أشهر.

يقول في هذا اللقاء عن تنوع مواهبه «رغم تعددية ما يقدمه الفنان ورغم ما يمكن أن يعرضه هذا إلى ضغوط إلا أنه إذا كان للفنان قدرة عالية في التركيز على كل ما يقدمه سواء أكان في السنيما أم المسرح أم الإذاعة أم التلفزيون، وعندما يتوجه بأعماقه كله إلى أعماله التي يقوم بها فهذا أمر لن يؤثر حسب اعتقادي وانطلاقاً من تجربتي وخبرتي، لأنني كنت أحب نفسي في فترة محددة لعدة أعمال وأشارك وأؤدي الشخصية الموكلة إلي بكل التزام وصدق، فهذا الأمر هو الذي يمكن الفنان من الاستمرار من دون أن يواجه أبداً من العقبات».

ورداً على سؤال: «على أي أساس كنت تختار وتفاضل بين الأعمال المعروضة عليك؟ أجاب: «دائماً وقتي هو الذي يحكمني فمثلاً عندما كنت أريد أن أقدم عملاً مسرحياً، وفي الوقت نفسه كان لدي التزام في إذاعة دمشق، كنت أرتب وقتي وانظمه بطريقة أنهى فيها العمل الإذاعي خلال ساعات النهار وقبل الساعة التاسعة مساءً، لأنني في التاسعة مساءً أكون في المسرح، وكانت العملية بسيطة حيث لا يتداخل أمر على أمر آخر أو أن يكون شيء على حساب شيء آخر».

وتحدث فنان الشعب عن أعمال البيبة الشامية التي أنتجت مؤخراً فقال: «للأسف الشديد صاروا يقومون

على مشارف الثمانين عاماً، ويبدأ الأب متفقاً مع ابنه في وجهة نظره، حينما قال عن هذه الشخصية في تصريح صحفي: «(طوطح) أبرز طاقة بداخلي ربما لم تكن مرئية للجمهور، وأثبت للمشاهدين أن لدي قدرات كممثل تفوق ما شاهدوه في أدائي من قبل، ولطالما كان هذا هدفي طوال حياتي».

### الفن السابع

سينمائياً، قدم سبيعي ما يزيد على الخمسين فيلماً، أحدثها «سوربون» عام ٢٠١٥، ويحمل أيضاً توقيع المخرج ياسل الخطيب، حيث عاد إلى الشاشة الكبيرة بعد غياب ٢٩ عاماً، وقدم فيه دور «أبو يوسف» الإنسان المرتبط بوطنه الذي يقف حائراً أمام الحال التي وصلت إليها البلاد، ويسعى جاهداً لمساعدة من حوله على التخلص من الأماسة التي حلت على الجميع لكن الظروف العامة تحول دون ذلك لتحوّله إلى ضحية أخرى من ضحايا الوطن.

ومن أبرز مشاركاته السينمائية، دوراه في فيلمي السيدة فيروز الشهيرين «سفربرك»، و«بنت الحارس» عامي ١٩٦٦ و١٩٧١.

ومن أفلامه أيضاً «غرام في اسطنبول» ١٩٦٧، و«جسر الأشرار»، و«رحلة حب» ١٩٧٢، و«النصاين الخمسة» ١٩٧٢، و«شروال وميني جوب» ١٩٧٣، و«هاوي مشاكل» ١٩٧٣، و«نساء للشقاء» ١٩٧٤، و«غرام المهرج» ١٩٧٦، و«القادمون من الجحار» ١٩٧٧، و«زواج على الطريقة المحلية» ١٩٧٧، و«شيطان الجزيرة» ١٩٧٩، و«أحلام المدينة» ١٩٨٣، و«الشمس في يوم غائم» ١٩٨٥، و«الليل» ١٩٩٢، و«صندوق الدنيا» ٢٠٠٢، و«الليل الطويل» ٢٠٠٩.

### المونولوج

يقول الناقد الموسيقي أحمد بوبس: «رفيق سبيعي هو بحق رائد الأغنية الناقدة في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو بذلك امتداد للفنان سلامة الأغواني، مع فرق جلي وهو أن الأخير كان يقدم أغنياته في قالب المونولوج، أما الفنان سبيعي فقد اختار قالب الطلوقة واللون الشعبي لأغنياته.. وقدمها بشخصية «أبو صياح» التي تمثل السلوك القويم».

في عام ١٩٦٢ ظهر سبيعي في برنامج «نهوند» التمثيلي بشخصية شعبية «سعدو حني كك»، وقدم أغنية بعنوان «حبك بقلي نوم ساكن مطرح»، كما شارك عبر أنثر إذاعة دمشق في برنامج للأغاني الضاحكة بشخصية «أبو صياح» ليقيم أغنية «داعكم أبو صياح معدل عن التمام». في عام ١٩٦٣ قدم أغنيته الشهيرة «يا ولد لفلك شال» في برنامج «XXV» ثم توالت الأغنيات التي نالت حظها من الشهرة مثل «تمام هذا الكلام»، و«شروال أبو صياح»، و«لا تتورع المال»، و«حبوباتي التلمودات»،

حاتم علي، ثم في عام ٢٠٠١ شارك في مسرحية «شو هالحكي» من إعداد وإخراج كل من سيف الدين السبيعي ونضال سيجري وجلال شموط عن نص لثريا تامر.

### حكواتي الفن

إذاعياً، بدأ الراحل عمله الإذاعي في خمسينيات القرن الماضي، وقدم خلال مسيرته الطويلة كممثل ومخرج مئات البرامج والمسلسلات الإذاعية، وكان أحد أبرز الأصوات الحاضرة في مسلسلات إذاعة دمشق، وبرامجها. وسبق في الذاكرة طويلاً برنامج «الشهر» «حكواتي الفن»، الذي روى فيه لأكثر من ١٢ عاماً بعضاً من أسرار الفن السوري والعربي وكواليسه وذكرياته.. وجملته الشهيرة فيه «أحابي ونور عيوني»، كان يرددها كل حلقة في مخاطبته للجمهور. وهو أول من قدم كتاب «حوادث دمشق اليومية» لـ«البديري الحلاق» الذي يورخ لأواخر فترة الاحتلال العثماني لبلاد الشام، ولقت أنظار الدراميين له فاستحووا منه فيما بعد قصص العديد مما عرف لاحقاً بأعمال البيبة الشامية.

### الشاشة الصغيرة

أعمال رفيق سبيعي في التلفزيون بدأت رسمياً مع مسلسل «مطعم السعادة» مع نهاد قلعي ودريد لحام، ثم في «مقابل غوار» و«حمام الهنا»، وكانت شخصية «أبو صياح» أيضاً صاحب الحمام الذي يعمل فيه غوار وتدور فيه القصص والحكايات، وهو مسلسل تلفزيوني سوري بسيط أنتج في عام ١٩٦٨ عن رواية بعنوان «الكراسي الأثنا عشر» للكاتبين الروسيين أيلف وبتروف.

وبما يملكه من كاريزما «الزعرت الشامي» كان دور «الزعيم» في مسلسل «أيام شامية» عام ١٩٩٢، فاتحة لتصدر أدوار الزعامة في معظم المسلسلات التي تنتهي إلى هذا النوع من الأعمال.

تواصلت أعماله فتألق في مسلسلات حفرت عميقاً في الذاكرة، منها «الخشخاش» ١٩٩١، و«ميروك» ٢٠٠١، «الحزن» ١٩٩٣، و«العبابيد» ١٩٩٦، و«ميروك» ٢٠٠١، و«صقر قريش» ٢٠٠٢، و«مرزوق على جمع الجبهات» ٢٠٠٤، و«البي الصالحية» ٢٠٠٤، و«الحصرم الشامي» ٢٠٠٧، و«أهل الراية» ٢٠٠٨.

واستمرت مسيرته مع الدراما التلفزيونية، سنوات طويلة، قدم خلالها عشرات الأدوار، كان آخرها مشاركته بمسلسل «حرائر» عام ٢٠١٥، تحت إدارة المخرج ياسل الخطيب (تأليف عنود خالد).

ولطالما حاول الراحل تقديم أدوار يؤكد فيها حضوره كممثل بعيداً عن صورة «أبو صياح»، وتمكن من ذلك بنجاح عبر تقديمه شخصية «طوطح» اليهودي في مسلسل «طالع الفضة» من إخراج نجله سيف الدين الذي اعتبر أن والده أعاد اكتشاف نفسه من خلالها

### «أبو صياح»

صنع سبيعي شخصية «أبو صياح» الشهيرة صاحبة النخوة والمهابة والشهامة، بعد ظهوره في التلفزيون عبر مسلسل «مطعم السعادة» حيث استقى مفرداتها من المحيط الذي نشأ فيه بحي «الزوربية» الدمشقي، فهو لم يؤدها يوماً «على سبيل التمثيل»، وإنما عاشها، ورثين لهجتها كان يتردد في ذهنه منذ الصغر.

وبدأت قصته مع «أبو صياح» كما يروي في إحدى مقابلاته: «أول مرة قدمتها عن طريق المصادفة، حين أراد الفنان أنور المرابط أن يتغيب عن أداء فصل كوميدي يلعب فيه دور القتال في إحدى مسرحيات الراحل عبد اللطيف فتحي، كنت أعمل وقتها ملقماً في مسرحه، لم أتم ليلتها من الفرحة، واعتبرت هذا الدور نوعاً من الامتحان يمهّد لي الطريق كممثل، استعرت الشروال وباتي الإكسسوارات، ففوجئ بي فتحي عندما رأي على المسرح، وجسدت الشخصية على طبيعتها كما تبدو في الحياة. وقتها، شاهد أدائي المرحوم حكمت محسن، وبتناً في بالنجومية منذ ذلك الحين».

كان ذلك أواخر خمسينيات القرن الماضي، في عمل مسرحي مقتبس عن مسرحية مصرية للكاتب أبو السعود الإياري نقلها عبد اللطيف فتحي إلى الشامية، قدمت على أحد مسارح دمشق، وحضرها وقتها صياح قباني أول مدير للتلفزيون السوري، وقيمت في باله. وعندما تأسس التلفزيون عرفه إلى نهاد قلعي، والفنان دريد لحام، وبدأت مسيرة «أبو صياح» التلفزيونية مع «غوار الطوشة» و«حسني البورطان».

### على الخشبة

تعود بداياته كممثل ومغن ومونولوجيست إلى أواخر أربعينيات القرن العشرين عندما بدأ بتقديم مقاطع كوميديّة مرتجلة على مسارح دمشق، ثم انتقل إلى الغناء والتمثيل في الفرق الفنية، ومنها فرق علي العريس، وسعد الدين بقديوس، وعبد اللطيف فتحي، والبيروتي، ومحمد علي عبود، وساهم بتأسيس عدد من الفرق المسرحية الأولى بعد الاستقلال، وبرز في شخصية القاضي الدمشقي أبو صياح التي قدمها لأول مرة في عام ١٩٥٣. بعد سنوات قليلة على بداية عمله المسرحي أواخر الأربعينيات وتقديمه عدداً من الأدوار المرتجلة، لشخصي «أبو جميل» و«أبو رمزي»، كانت النقلة الفنية في عام ١٩٥٨ مع تأسيس المسرح الحر الذي عمل فيه معظم رواد الحركة المسرحية السورية، حيث بدأ بتقديم مسرحيات كاملة إلى جانب فقرات غنائية اعتادت الفرق المسرحية تقديمها في ذلك الزمان، ومن المسرحيات الأولى التي شارك فيها: «بالقوب»، و«مرتي قمر صناعي»، و«طاسة الرعية»، وشارك في مسرحية نالت شهرة ملحوظة في أواخر الخمسينيات هي مسرحية «صابر أفندي» ١٩٥٨ من تأليف الراحل حكمت محسن. كما كان سبيعي من بين الفنانين السوريين المؤسسين للمسرح القومي في عام ١٩٦٠، ومن أهم المسرحيات التي شارك فيها مع المسرح القومي «أبطال بلدنا» ١٩٦٠، و«البورجوازي النبيل» ١٩٦٢، و«الأشباح» ١٩٦٢، «مدرسة الفضائح» ١٩٦٣، و«الإخوة كارامازوف»، و«الاستثناء والقاعدة» ١٩٦٤.

ويعد غياب سنوات عاد سبيعي إلى المسرح عام ١٩٩٦ ليشارك في مسرحية «مات ثلاث مرات، بتوقع المخرج

## سبيعي لـ «الوطن»: لدمشق تاريخ عريق لايمكن لأحد أن يغيره أو يمحوه



فيلم «سوربون»



من فيلم «النصاين الخمسة»



شخصية «طوطح» في مسلسل «طالع الفضة»